قبل الولادة وبعد الموت

ذكرنا في الجزء الاخير من السنة الماضية خبر فتاة فرنسوية اسمها ماري مايو تنام النوم المغنطيسي او نوم الاستهواء فتتذكر ماضي حياتها حتى الزمن الذي كانت فيه طفلة في مدينة بيروت ثم تتعدى انها تتذكر ما كانت عليه قبل ولادتها الاخيرة وقبل الولادة التي قبلها وهلم جرًّا . واوردنا خلاصة ما قالتهُ في نحو خمس عشرة جلسة من ثلاث وعشرين جلسة نومها فيها الكولونل ده روشا العالم الفرنسوي ومعهُ الدكتور بوتران طبيب العائلة والمسيو لاكوست وهو مهندس صديق لزوج امها وها نحن موردون تتمة الكلام عنها على ما رواهُ الكولونل ده روشا في مجلة العلوم النفسية

الجلسة الرابعة والعشرون في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٤ — حاولتُ في هذه الجلسة ان استعلم منها عن الرجل شارل موئيل الذي كانتهُ قبل ان صارت المرأة المسماة لينا التي ماتت غرقًا ثم تقمصت في شخصها الحالي . فنوَّمتها واسرعت في ردها الى الوراء بالاشارات الطولية الى ان بلغت طفولية شارل موئيل حينما كان عمرهُ خمس سنوات فقالت ان اباهُ كان فاظرًا في معمن وان امهُ كانت تلبس ثيابًا سوداء . ثم رددتها الى ما قبل ولادته فاذا هو في الظلة تعذبهُ الارواح وكان قبل ذلك سيدة زوجها من حاشية الملك واسمها مدلين ده سان مارك وكان عمرها لما شرعتُ في سؤالها خمسًا وعشرين سنة وهي جميلة المنظر فسألتها عما اذا كان احد يحبها فقالت لا فقلت اني انا احبها فضربتني يدها ضربة غنج فاظهرت سروري وقدَّمت لها اقمشة ثمينة قلت لها اني جلبتها باسفاري من بلاد بعيدة وطلبت منها ان تقبلها هديةً مني فشكرتني متبسمةً وقالت هذا عربون الخطبة ثم نهضت قائمة . وتكلمت معها وهي قائمة فاجابتني كأنها لا تتذكر شيئًا مما قالتهُ وهي جالسة وسألتها عما اذا كانت عازمة على الخروج فقالت نعم انني ذاهبة الى الكنيسة فقلت لها هل تأذنين لي في مرافقتك فقالت حبًّا وكرامةً واخذت تمشي ومشيت الى جانبها فخطت بضع خطوات ثم وقفت فوضعت كرسيًّا وراءها حاسبًا انها تريد الجلوس فلم تجلس بل ركعت على ركبتيها وجعلت تصلي وبعد بضع دقائق نهضت وطلبت مني ان اعود بها فمشيت معها قليلاً ثم اخذتُ اسألها عن نساء البلاط فقالت انها تحب مداموازل ده لا ڤاليرو وقلما تعرف مدام ده منتسبان ولكنها تكره مدام ده منتون

فقلت لها يقال ان الملك تزوَّج بهذه سرًّا فأُغمي وقالت كلاَّ بل هي خليلتهُ لا حليلتهُ فقلت لها وما رأيك في الملك

فقالت انهُ متكبر متجبرف

فقلتُ لها هل رأيتِ المسيو ده موليير

فقالت نعم ولكنني لا استحسنهُ كثيراً

فقلت وهل تعرفين المسيو كورنيل

فقالت نعم وهو على جانب من الخشونة

فقلت والمسيو راسين

فقالت قرأت كثيراً مما كتبهُ وانا استحسنهُ جداً

فطلبتُ منها ان تتقدَّم في السن لارى ماذا يصيبها فابت ذلك وحاولتُ ان اقدّمها في السن رغماً عنها بالاشارات العرضية وهي تقاوم ذلك بكل جهدها الى ان ابلغتها سن الاربعين فرأيتها قد تركت بلاط الملك وأصيبت بسعال ومرض الصدر. وجعلتها تتكلم عن نفسها فاعترفت بانها صارت تثار من النساء الجميلات . فقدّمتها في السن الى ان بلغت الخامسة والاربعين فظهرت عليها علامات الاحتضار كمن يموت بمرض السل ثم دخلت الظلمة فايقظتها بالاشارات العرضية بسرعة

الجلسة السادسة والعشرون في ٢ يناير سنة ١٩٠٥ — كتب حضر هذه الجلسة الدكتور بوتران وخلاصتهُ ان الكولونل ده روشا نوم هذه الفتاة وردّها الى الوراء تدريجاً الى الدقيقة التي تكوَّن فيها طيفها وسألها ماذا يجري لو وضعتِ اصبعك في الماء فقالت انهُ يذوب فيهِ . ثم ردّها الى ان صار عمرها سنتين وسألها عن طيفها فقالت انهُ عارٍ وهو يخاري ولا ترى الاَّ رأسهُ ويظهر كطفل يحيط بهِ الضباب . ويقول الكولونل ده روشا ان طيف الانسان لا يكمل قبلما يصير عمرهُ سبع سنوات . وردّها الى ان صار عمرها يوماً واحداً وسألها عن طيفها فقالت انهُ صار ضبابياً لا يكاد يرى وسألها عنهُ ليلة ولادتها فقالت اولاً انها لم تعد تراهُ ثم قالت انها رأتهُ ضبابياً يحيط بامها . وردّها الى ما قبل ذلك فارتدَّت الى العتمة ثم الى المرأة ليلما كان عمرها ٢٥ سنة حينما مات ابنها ثم ردّها الى حين كان عمرها احدى وعشرين سنة وكانت حاملاً فقالت ان الجنين يرتكض في بطنها ثم انتقلت بغتة الى السنة الرابعة والعشرين واراد ان يعيدها الى السنة الحادية والعشرين فابت وردها الى ما قبل ولادتها فارتدت الى الظلمة ثم الى شارل موفيل وذكرت طرفاً مما جرى لهُ في حياتهِ ثم ردها الى المرأة مدلين حينما كان عمرها ٣٠ سنة وسألها عن اسم ابيها فقالت ان اسمهُ جرنويل وردها الى اصغر من ذلك حينما كانت فتاة وسألها عن اسم الشاب الذي يحبها فقالت ان اسمهُ غشون ده سان مارك

وانهُ من رجال البلاط ثم اقترنت به في قصر كلهما اسقف اتى من باريس لهذه الغاية لكنها لم تكن تحب زوجها وقابلت الملك في قصر فرسايليا . وسألها عن اسم وزير الحربية فقالت انهُ ده لوفوى وعما اذا كانت تعرف مدام ده منتسبان ومدام ده منتون فاجابت بالايجاب وقالت انهُ لما صار عمرها ٢٣ سنة شجرها زوجها. وقال لها الكولونل هل تعرفين الاب بوسيه فقالت لا فقال تعالي نذهب ونسمع وعظهُ فمشت معهُ الى آخر الغرفة وركعت ثم نهضت وجعلت تصغي فقال لها هل رأيت بوسيه الآن فقالت نعم ولكن لا ترفع صوتك . ثم عادت الى حيث كانت فجلست جلسة السيدات العظيمات . ثم ردها الى حالتها الحاضرة وكانت تبدي من الافعال والاشارات في انتقالها السريع ما ينطبق على الحالات التي تتقمص فيها فلما كانت شارل نوفيل في احتضارهِ كانت تسعل سعال المسلول . ولما صارت لينا ودنا وقت ولادتها اخذت تتمخض وكبر ثدياها حقيقة وسكتت لما ولد طفلها وجعلت تبكي بعد ذلك على موت زوجها ثم جعلت تجاهد جهاد الغريق وخمدت انفاسها وانتقلت الى الصحة وما زالت تنتقل من درجة الى اخرى الى ان عادت الى حالتها الحاضرة فايقظها فاستيقظت وليس بها اقل تعب بل جعلت تتكلم وتضحك كأنهُ لم يحدث لها شيء

الجلسة السابعة والعشرون في ٤ يناير — نومها وردها الى الوراء الى ان بلغت الرجل شارل نوفيل وسألها عن قصة العقد المشهورة وعما اذا كانت الملكة اشترتهُ حقيقةً فقالت كلاً لم تشترهِ . وسألها عما اصاب الملك (لما كان شارل نوفيل في الثانية والعشرين من عمرهِ) فقالت انهُ في السجن هو والملكة . وسألها مسائل اخرى وهو ينقلها من حالة الى أخرى فكانت تجيب كما اجابت في الجلسات السابقة

الجلسة الثامنة والعشرون في ٧ يناير — جعلها فيها تتقدم في السن الى ان صار عمرها عشرين سنة وسألها اين هي فقالت في بلاد الزنوج تلعب في مشهد

الجلسة الثامنة والعشرون — نوّمها في هذه الجلسة وحاول ردها الى ما قبل المرأة مدلين ده سان مارك فارتدت الى صورة ولد مات صغيراً ولكنها تعبت كثيراً فاضطر ان يوقظها حالاً

وقال في الختام انهُ اذا ثبت ان الاشخاص الذين كانتهم هذه الفتاة عاشوا وماتوا في الزمن الذي عينتهُ لم فذلك دليل على التقمص وخلود النفس . والظاهر انهُ بحث وتقرّ عنهم فلم يجد لهم اصلاً

ونأتي الآن الى ما نظنهُ من التعليل لهذا الامر الغريب فاننا نعتقد صدق الكاتب والذين كانوا معهُ في ما رووهُ عن هذه الفتاة فقد كانت تنام بالاستهواء حتى تبلغ الدرجة

التي تحدث فيها الاحلام . ثم ان العقل عقلان كما ارتأى الدكتور هدصن عقل ظاهر وعقل باطن فالعقل الظاهر هو الذي نستخدمهُ في معاملاتنا اليومية والعقل الباطن هو الذي يعي مدركاتنا . والعقل الظاهر ينام قبل الباطن او ان بين اليقظة والنوم حالة متوسطة يضعف فيها العقل الظاهر ويبقى شعور العقل الباطن او يزيد تنبهاً فتحدث الاحلام في تلك الحالة لاقلّ منبه خارجي او باطني . والظاهر ان الذي ينام النوم المغنطيسي يصل الى هذه الحالة فيصير كأنهُ بين اليقظة والنوم

وقد ذكرت حوادث كثيرة تدلُّ على ان العقل الباطن يحفظ تحفوظات كثيرة لا ينتبه لها العقل الظاهر مثال ذلك ان يسير احد اصدقائك في طريقهِ وبالهُ مشغول فيمر بك ولا يلتفت اليك كأنهُ لم يرَك ثم اذا قلتَ لهُ انك مررت بي ولم تلتفت اليَّ انكر ذلك ولكنك تؤكد لهُ الامر وتذكّرهُ بانك كنت لابسًا الثياب الفلانية او سائرًا على الصورة الفلانية في المكان الفلاني فيتذكر ذلك رويدًا رويدًا لان صورتك ارتسمت في ذهنهِ الباطن كما ارتسمت صور كل ما وقع عليهِ نظرهُ ولكن عقلهُ الظاهر كان مشغولاً فلم تؤثر فيهِ حينئذٍ ولم ينتبه لها . وهذا الامر يقع لكل احد وهو دليل على ان آثار المؤثرات قد ترتسم في الذهن الباطن من غير ان ينتبه لها صاحبهُ كما ترسم صور المرئيات على الواح التصوير الشمسي وكما ترسم آثار الاصوات على اسطوانات الفونوغراف . ومن ادل الامثلة على ذلك ما ذكرهُ الفيلسوف كلردج في كتابهِ ترجمات العلماء قال : ان خادمة لا تقرأ ولا تكتب اصيبت بحمى عصبية وكانت اذا اصابتها النوبة تنطق بعبارات لاتينية ويونانية وعبرانية حتى زعم قسوس الكنيسة ان شيطانًا عالمًا سكنها وصار ينطق بلسانها . واهتمَّ الاطباء والفلاسفة بامرها وصاروا يكتبون ما تنطق بهِ فوجدوا فيهِ عبارات كثيرة مقتبسة من التوراة وكتب الآباء . واهتمَّ احد الاطباء بها بنوع خاص واخذ يبحثُ عن ماضي حياتها وعن كل البيوت التي خدمت فيها وما زال يستقصي تاريخها الى ان عرف اين كان ابواها يسكنان في طفوليتها ومضى الى هناك فوجد انهما ماتا ولكنهُ وجد عمها حيًّا وعلم منهُ انهُ لما مات والداها حنَّ عليها احد قسوس البروتستانت واخذها الى بيتهِ وعمرها تسع سنوات . فجعل الطبيب يبحث عن هذا القسيس فوجد انهُ كان عالمًا يعرف اليونانية واللاتينية والعبرانية وانهُ كان من عادتهِ ان يمشي في رواق امام بيتهِ ويصل الى باب المطبخ وهو يقرأ في كتبهِ بصوت عالٍ . وعثر على بعض هذه الكتب عند حفيدة القسيس ووجد فيها كثيرًا من العبارات التي كانت تلك الخادمة تنطق بها وهي مصابة بالنوبة العصبية حتى لم تبقَ شبهة في ان ذاكرتها او عقلها الباطن حفظ تلك العبارات من مجرَّد

سمعها وبقيت محفوظة فيهِ الى ان اصابتها النوب العصبية فانتبهت لها وصارت تنطق بها كما سمعتها

هذا من قبيل ما يحفظ في العقل الباطن . ثم ان الانسان النائم في الحالة الحلمية يبقى يتأثر بالمؤثرات الخارجية ويتنوَّع شعورهُ بحسبها فاذا سخن فراشهُ قليلاً شعر كأنهُ في جهنم النار واذا انكشفت رجلهُ فبردت شعر انهُ ماشٍ على الثلج . ويحدث مثل ذلك اذا كان في حالة الاستهواء فاذا وضعت كاس ماء في يدهِ وقلت لهُ ان هذه الكاس شرابٌ مسكرٌ شربهُ مكروهاً كمن يشرب المسكر ثم مشى مترنحاً كالسكران واذا اعطيتهُ بصلة وقلت لهُ انها تفاحة اكلها بلذة كأنها تفاحة واذا اعطيتهُ تفاحة وقلت لهُ انها بصلة وامرتهُ ان يأكلها اكلها مكرهاً متأففاً كأنها بصلة . وسنبسط الكلام على هذا الموضوع الاخير في فرصة اخرى

واذا تقرَّر هذان الامران اي ان عقلنا الباطن يحفظ محفوظات كثيرة قد لا نكون شاعرين بها وان المؤثرات الخارجية تؤثر في الذهن الباطن وتولد فيهِ صوراً منطبقة على تلك المؤثرات هان تفسير ما بدا من الفتاة ماري ما يو المشار اليها آنفاً وذلك ان عقلها الباطن حفظ كثيراً مما سمعتهُ او قرأتهُ في حياتها فتذكرت بعضهُ وهي في حالة الاستهواء . ثم ان مسائل الكولونل ده روشا ولَّدت في ذهنها صوراً جديدة جرَّدتها من محفوظاتها فلما قال لها من كنت قبلما ولدت اخيراً قالت كنت امرأة وقصَّت قصة امرأة تعرفها او سمعت او قرأت عنها وابدت من الافعال والاشارات ما ينطبق على الاحوال التي صوَّرتها فيها فكانت تتألم عند المخاض وتحبط عند الفرق ولما سألها من كنت قبلما صرتِ هذه المرأة قالت كنت رجلاً وقد كان يمكن ان تقول انها كانت امرأة اخرى ولكنها ذكرت اول خاطر اخطرهُ السؤال في بالها . والظاهر ان هذه الخواطر التي اخطرتها مسائل الكولونل في بالها في الجلسات الاولى صارت تخطر في بالها في الجلسات التالية على ترتيبها بل صار خطورها في الجلسات التالية اسهل حدوثاً لانها ان كانت قد خطرت والمؤثر واحد وهو السؤال فلا بدَّ ان تخطر بعد ان انضمَّ الى السؤال مؤثراً آخر وهو الصورة السابقة التي ارتسمت في الذهن على اثر السؤال الاول فصارت كمن يتذكر في الجلسات الاخيرة ما كان يقولهُ في الجلسات الاولى . وهذا التعليل لا يزيل كل غرابة من حادثة هذه الفتاة وامثالها ولكنهُ يزيل اغرب ما فيها على ما ترى

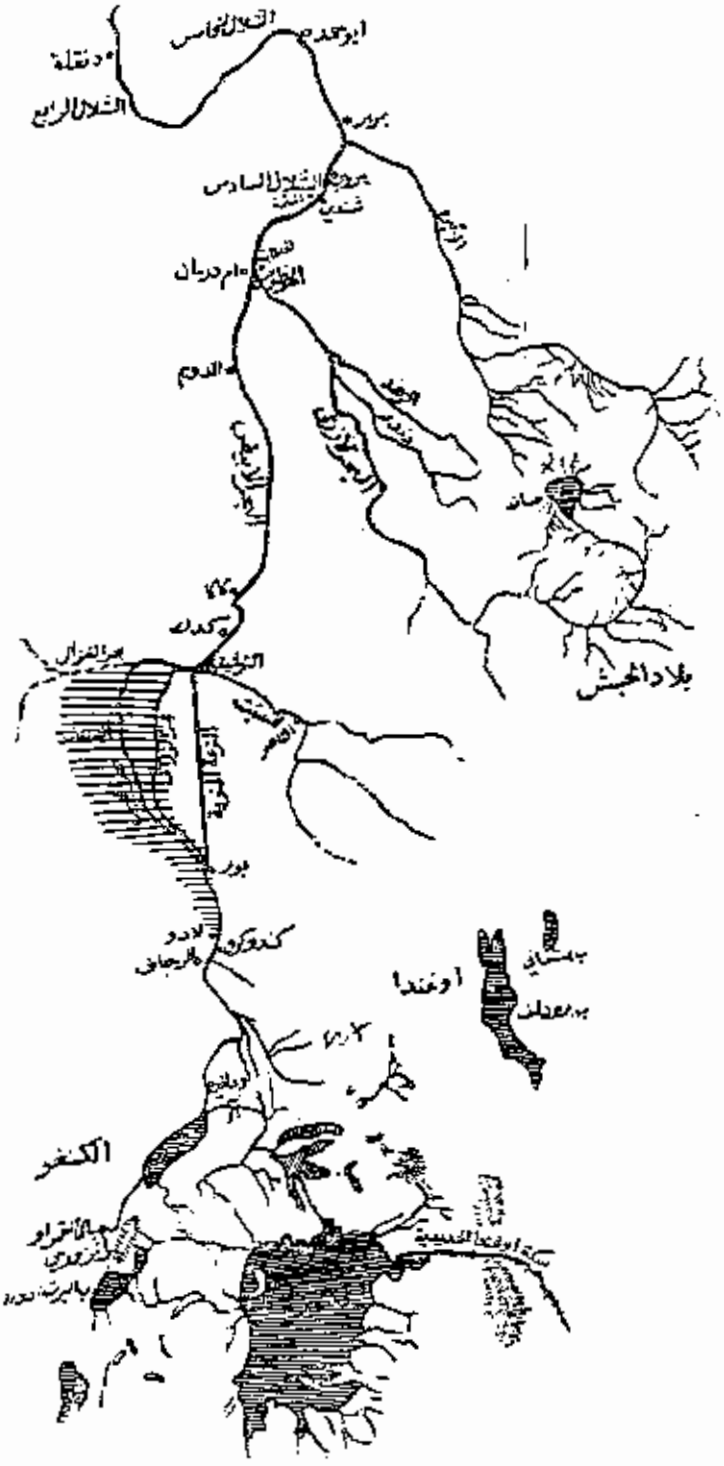
ابو حمد
الشلال الخامس
دنقلة
الشلال الرابع
بربر
الشلال السادس
شندي
ام درمان
الدوم
بحر الغزال
الزرقاء
بور
كندوكرو
لادو
الرجاف
اوغندا
الكنغو
بلاد الحبش